ضبْط باب

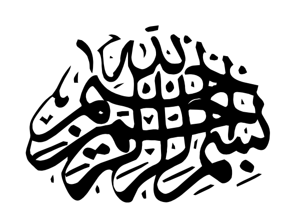
« التشبُّه بالكُفَّار »

-بين غلو الغالين وإفراط المُفرِّطين-

مستل من شرح فضيلة الشّيخ

أبي عبدالرَّحمن عبدالله بن عمر بن مرعي بن بريك العدني

-حفظه الله تعالى-



قال فضيلة الشّيخ عبدالله بن عمر بن مرعي بن بريك العدني –حفظه الله تعالى- في [شرحه على متن خمسون حديثاً في العقيدة (د04)] :

وقولهُ ﷺ : « من تشبَّهَ بقَومٍ فهو منهم » [1] :

فيه أصلٌ عظيمٌ في مخالفة جميع الكُفَّار بأصنافِهم ؛ من مشركين ، ومنافقين ، و-كذلك- أهل كتاب ، والأحاديث في هذا الباب كثيرَة جداً عن النبي ﷺ ؛ أي : في مخالفة جميع الكُفَّار .

بل قال الله –عز وجل- ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ ﴾ [المائدة: 51] ، ونحوها من الآيات في هذا المعنى .

وهكذا ، النبي ﷺ يقول : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من كان قَبلَكُم حذوَ القُذَة بالقُذَة حتَّى لو دخلوا جُحرَ ضَبٍّ لدَخَلْتُموه » قالوا : « اليَهود والنَّصارى يا رسول الله ؟ » قال : « فمن القوم إلاَّ هم » [2] .

وهكذا ، قال –عليه الصَّلاة والسَّلام- : « إنَّ المسلم والمشرك لا تتراءى نارهم أنا بريءٌ من مسلمٍ يَعِيشُ بيْنَ ظَهْرَانَيْ المشركين » [3] .

1- رواه أحمد في [مسنده (برقم : 5669)] عن ابن عمر –رضي الله عنهما- .
2- رواه البخاري في [صحيحه (برقم : 3456)] ، ومسلم في [صحيه (برقم : 2669)] عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه- .
3- صحَّحه الألباني في [صحيح التِّرمذي (برقم : 1604)] من حديث جرير بن عبدالله –رضي الله عنه- .

فحذَّرَ النبيّ ﷺ من مشابهة المشركين في كلّ شيء :

- حتَّى في « الصَّلاة » ؛ فإنَّ النبيّ ﷺ نهى عن التشبُّه بهم .
- حتَّى -كذلك- في « المَلْبَسْ » .
- وفي « المظهَرْ » ؛ قال : « اعفُوا اللِّحَى [1] أحفُوا اللِّحى [2] خالفوا اليهود » حديث ابن عمر في [البخاري] .

وهكذا -كذلك- قال -عليه الصَّلاة والسَّلام- : « صلُّوا في نِعالِكم خالِفُوا اليَهود » [3] ، وقال ﷺ -كذلك- لعبدالله بن عمرو حين لبسَ الثيَّاب الحُمر المُعَصْفَرَة ، نهاه عن ذلك ، وقال : « هذا لبسَة من لا خلاق له » [4] .

وغيرُها من الأحاديث الكثيرَة التي فيها النَّهي عن التشبُّه بأفعال المشركين .

وقال -كذلك- حذيفة -رضي اللّه تعالى عنه وأرضاه- : « لا يَشْبَهُ الزيّ الزيّ حتَّى تُشْبِهُ القُلُوب القُلُوب ومن تشبَّهَ بقومٍ فهو منهم » رواه الطَّيالسي بإسنادٍ حسَنْ [5] .

وهذه الأحاديث كلُّها تدُلّ على هذا الأصْل ؛ وهو وجوب مخالفة أهل الكتاب ، والكفَّار ، والمنافقِين ، وكلّ من خالفَ هذا الدِّين .

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه اللّه تعالى- في ذِكر العِلَّة : « أنَّ العِلَّة من هذا التَّحريم هو أنَّ هذا التشَبُّه في الظاهر يورثْ التَّآلُفْ في

1- رواية البخاري في [صحيحه (برقم : 5893)] .
2- رواية مسلم في [صحيحه (برقم : 259)] .
3- أخرجه أبو داود في [سننه (برقم : 652)] عن شدَّاد بن أوس -رضي اللّه عنه- .
4- أخرجه مسلم في [صحيحه (برقم : 2077)] .
5- لم أجده لقلَّة بضاعتي ، وقد وجدته من طريق عبدالله ابن مسعود في [المصنف لابن أبي شيبة] .

الباطنْ » [1] فإنَّهُ إذا تشابهَ الظَّاهِرْ حصلَ التَّقَارُبْ والتَّآلُفْ في الباطن ،فإنَّ للظاهِر أثراً على الباطن .

وهذا الحديث قال عنه –رحمه اللّه تعالى- :« أنَّ ظاهِرَهُ يدلّ على الكُفْر من فعلَ هذا الفِعْل لقولِه :فهو منهم » [2] ،ولولا ما وردَ من بعض الأحاديث لقيلَ بكُفر فاعِل ذلك :ففاعِلُ ذلك على خطرٍ عظيم يُخْشَى عليه ،فإنَّه لو فعلَ ذلك على وجهِ المحبَّة الشِّرْكِيَّة التي نهى عنها ربُّنا –جلَّ وعلا- لكانت كُفراً والعياذ باللّه ! أن يُحبَّ غيرَ ما شرعَ اللّه أعظم ممَّا يُحبّ ممَّا شرعَه اللّه ،يُخشَى عليْه من الكُفر .

فمثلاً –على سبيل المثال- :لو أنَّ رجلاً حلقَ لِحيَتَه ،وهو يَعلَم أنَّهُ عاصِي للّه –عز وجلّ- ،مخالف لأمر اللّه ورسولِه ،ليسَ حالُهُ كحال من يَحلق لِحيَته تعظيماً لحلْق اللِّحيَة ،مستهزئاً ،مستصْغِراً ،جاحِداً لأمر إعفاءِ اللِّحيَة ،فإنَّ هذا الثَّاني هو يكون كافراً والعياذ باللّه ! لأنَّهُ جحدَ حُكماً شرْعياً ،واسْتَصْغَرَ واستهتَرَ بحُكمٍ من أحكام اللّه –جلَّ وعلا- ،يقَعُ في الكُفر والعياذ باللّه وهو لا يَدْري .

فإذن :التشبُّه بالكُفَّار أمرٌ خطير ،ولهذا نهى عنه ربُّنا –جلَّ وعلا- في كتابه ،ونبيُّنا ﷺ في سُنَّتِه .

وهذا التشبُّه عام في كلِّ شيء ،لأنَّ الحديث عام ،إلاَّ ما كان فيه منفَعَة دينيَّة أو دنيويَّة لا يُخالِفُ الشَّرْع فإنَّ الإسلام لا يَرُدُّ مثل

1- انظر [مختصر اقتضاء الصراط المستقيم (صـ220-221) . تحقيق :العقل] .

2- انظر [مختصر اقتضاء الصراط المستقيم (صـ88-89) . تحقيق :العقل] .

ذلك ؛فقد استخدم النبي ﷺ بعض ما يعملهُ الكُفَّار إذا كان لا يُعارِضْ الشَّرْع .

- **مثل ما حفرَ الخندق [1] ،وهو ليسَ من فِعلِ العرب ،بل هو من فِعلِ أهل فارسْ ،أخذ بمشورة سَلْمان –رضي اللّه عنه وأرضاه- .**
- **وهكذا ،استخدامهُ للمنجنيق [2] ،وما كان يَعرفُهُ العرب .**
- **وهكذا ،أخذهُ للخاتم [3] ،وما كان يعرفُهُ العرب .**
- **وهكذا –كذلك- فعلَ النبي ﷺ في أشياء كثيرة .**

وبعدهُ خلفائُهُ الرَّاشدون ،والصَّحابَة –رضي اللّه عنهم وأرضاهم أجمعين- .

فهذا عمر ابتدأ كتابَة الدَّواوين ،واتَّخذ –كذلك- الكُتَّاب ،وغير ذلك ممَّا فعلهُ ولم يَفْعلهُ الخُلَفاء من قبْلِه ،وذلك لأنَّ في ذلك مصلحة ،وكلّ ما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين ولم يخالِفْ الشَّرْع ،فإنَّ الإسلام لا يُحرِّمه ولو جاءَ من عندِ الكُفَّار .

وبهذا يكون الأمر وسط بين غلُو الغالين الذين حرَّمُوا كلّ شيء جاءَ من الكُفَّار ولو كان حقاً ،وبيْن –كذلك- تفريط المُفْرطين الذين أخذوا كلّ شيء ولو خالفَ الشَّرْع ،والوسط هو بين هذيْن الأمريْن .

1- الحديث في [صحيح النَّسائِي للألباني (برقم : 3176)] من حديث صحابي لم يُسَمّ .
2- والحديث أخرجه أبو داود في [المراسيل (برقم : 335)] .
3- أخرجه مسلم في [الصحيح (برقم : 2094)] وغيره عن أنس بن مالك –رضي اللّه عنه- .